



أبو الهول يطير

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

عندما قرأت هذا العنوان في إعلانات الصحف قلت لـ
الأستاذ تيمور معنى أبى الهول نفسه ، فهو رمز المصرى كما هو
رمز الصمت . وفى التسمية دلالة لا بأس بها ، فنحن نسمي
كثيراً من الأشياء المصرية كالنيل والأهرام وما إلى ذلك دلالة
على القومية المصرية . حتى إذا شرعت فى قراءة الكتاب اتضح لى
أنى كنت وإها فيما ذهبت إليه ، لأن المؤلف لا يقصد نفسه بهذه
الاستمارة ، وإنما يقصد الطائرة التى أقلته من مصر إلى أمريكا ،
أو إلى الولايات المتحدة على وجه التحديد ، بلاد الحضارة والمدنية
الحديثة ، أو الدنيا الجديدة كما يقولون . . .

ولاريب فى أن أمريكا تستحق من الشرق أن يتعرف إليها ،
بمد أن أصبحت محط أنظار العالم ، وبمد أن انتقلت إليها الحضارة
العلمية الحديثة ، فانتت إلى كشف القنبلة الذرية ، فسبقت بذلك
سائر الدول التى كانت تحمل لواء العلم والمدنية .

كنا إذن فى حاجة إلى معرفة هذه الدولة العظيمة الناشئة ،
وما فيها من نظم اجتماعية ، وأحوال عمرانية ، وتقالييد بصطبغ
بها أهلها ، وعادات تشيع فى سكانها .

وهذا ما فعله الأستاذ محمود تيمور بك فى كتابه « أبو الهول
يطير » . سور فيه رحلته إلى تلك البلاد ، وسجل ما شاهده
فى السماء والأرض ، والفندق والشارع ، والمطعم والمقهى ، وفى
كل مكان ، وفى كل ركن من الأركان ، فكان الناقل الأمين الذى
شاهد بين المصرى الشرق تلك البلاد الجديدة الغريبة .

ففى إذن رحلة « أمريكانية » كان من الخير أن يصورها لنا

المؤلف فى هذا الأسلوب الطائر ، حتى نلأئم ما عرفناه عن
أمريكا التى نحسب حساب السرعة والزمن فى كل عمل . فإذا
كان ابن بطوطة أو ابن جبير يقطع الواحد منهما الرحلة فى
أعوام ، فلا عجب أن نجد محمود تيمور يقطعها فى شهور .
وأن يصل من القاهرة إلى نيويورك فى ساعات .

نقول إن عين الشرقى هى التى سجلت ما فى هذا الكتاب
من كتب وأطيان وظلال . والشرقى مؤمن بطريقه ، وكان
الشرق مهبط الأديان منذ قدم الزمان . انظر مى إلى ما يقوله
تيمور فى صفحة ٨٠ « ما زال حديث السماء على تطاول الزمن ،
وتراريف الحقب ، وتطور العقول ، هو صاحب السلطان الأول
على المشاعر والنفوس ... لطالما سمعنا بفلسفة الفسك بنادون بأن
العقيدة الدينية على وشك الانهيار ، ولكننا لا نثبت أن تواجهنا
حقائق تسخر من هذا الزعم الموهوم ... إن العقيدة ، مثلها كمثل
كرة الطايط ، إذا قذفت بها ورأيها جادة فى هويها إلى الأرض
لم تحسب لها من رجوع . ولكنك لا نعلم أن تراها قد وثبتت
إليك فى عنفوانها أقوى مما كانت من قبل ... » .

فأت ترى أن الرحلة لا نصف المشاهد الحسية لحسب ،
بل تذهب إلى أعماق الحقائق الروحية ، فيحدثنا صاحبها عن
الفلسفة والعقيدة والإيمان بالله ، والدفاع عن الأديان .

على أننا ننكر على الأستاذ تيمور قوله : إن فلسفة الفسك
ينادون بالإلحاد ، فهى تهمة لصقت بالفلسفة وهم منها براء .
وقد قيل مثل ذلك عن ابن رشد فيلسوف قرطبة ، ووقع فى محنة
شديدة كادت أن تودى به . على أنا ترى أن افلاسفة كانوا دعائم
المقائد يقوونها بسند الفكر والبرهان ، كما فعل ديكارت فى براهينه
الرياضية فى إثبات وجود الله .

وقد نقلت العبارة السابقة من الكتاب لترض آخر غير هذا
النقد الذى وجهته ، ذلك أنى أحببت أن أعرض على القارىء
لونا من أسلوب الكاتب فى كتابته .

ولقد سمحت تيمور فى قصصه منذ زمن بعيد ، فقرأت له تلك
« الأنصوات » ، ويمنون بذلك القبة الصغيرة ، مثل « مكتوب
على الجبين وقصص أخرى » و « أبو طى وقصص أخرى » .

التي لا نجد لها نظيراً في الفصحى ، لأنه يريد ذلك ، أو يريد أن يدخل هذه الألفاظ في قاموس اللغة العربية حتى تندرج فيها . وهذا مذهب لا بأس به .

وهو كذلك يستعمل بعض الألفاظ الجديدة التي استحدثت ، والله بتسجيلها يدفع إليها مع الزمن الحياة . أنظر إليه وقد نزل في باريس وذهب إلى مقهى « كافيه دلايه » المشهور إذ يقول « لنتناول قهواً من تلك القهوة المزوجة باللبن ، مفضرة هذا المشرب البميد الميت ... ونلاحظ بحاسة نستعيد فيها ذكريات الماضي المحب ، وننقل النظر في الفسادين والرائحين من أهل باريس ، نتملى بما يبدو من أناقة ورشاقة وظرف ، وهم يتزاحون على طوار الطريق ... »

وفي هذه العبارة التي نقلها افظنان جديدتان ، المشرب وهو بمعنى المقهى ، والطوار أى الترتوار .

وعلى هذا النسق تجد عشرات وعشرات من الألفاظ يجربها في أثناء التمييز ، فلا تحس فيها غصاضة أو تكلفاً . وهذا فضل لا ينكر في تفذيل اللغة العربية لألفاظ الحضارة الحديثة .

وبعد ، فإن أحب للقارى أن يمتطى متن هذا الكتاب ، ليطير به في جواء الفكر ، وينقله إلى الدنيا الجديدة ليمسك فيها بعض لحظات .

أصمم نوار الأهوائى

(الرسالة) : آفة النقد عندنا التريد والتقليد . فالدكتور الأهوائى يردد نسخة قديمة لم يبق لها في الآذان رجح . كان النقاد يأخذون على أسلوب الأستاذ تيور في تنجحه الأول أنه أقرب إلى العامية في ألفاظه وتراكيبه . فانتش هذا الرأي في أذهان الناس ، وصرفهم السكل العقل عن استئناف النظر فيه بالموازاة والنقد ، فلم يلاحظوا تطور أسلوب الكاتب على إيمان الجهد وكر السنين ، من الانتقال إلى السمو ، ومن السهولة إلى الجزالة ، فيما كتب بعد ذلك من مقالات وقصص . ومن أثر هذا الجود العقل أن الناس قد اعتقدوا في كل كاتب من كتابنا ، وزعيم من زعمائنا ، رأياً لا يتحولون عنه ولا يغيرون منه . فلو كان عندنا نقد يشارى التطور ، ولنا رأى يسائر النهوض ، لحسبنا على الكاتب بآخر ما يقول ، وعلى الزعيم بآخر ما يعمل . ويظهر أن الأستاذ الناقد يخلط بين السهولة والابتذال ؛ فإن السهولة من الصفات الجوهرية للبلاغة ، ولا يميها على الكاتب إلا محذوب من مجاذيب الصرفية ، أو مجنون من مجانين الرمزية

فكنت أجب به قاصاً ، كما أجبته به كاتب رحلة . واليزان ومبعت الإعجاب عندي هو تلك اللذة التي نشعر بها عند قراءة هذه القصص ، فلا تكاد تبدأ في قراءتها حتى تنتهي إلى نهايتها ، دون شعور بالغ أو سام ، بل بدفعنا فيها دافع قوى من الشغف والتلهف على اتممة القصة .

وقد يختلف النقاد في الحكم على أدب تيمور وقصصه ، ولا أعد هذا الخلاف مطمئناً عليه ، فشكل أدب مشهور لا بد أن يكون موضع الخلاف بين النقاد ، وكذلك كان شوقي في شعره ، رفعة بعض الحكماء إلى مرتبة الإمارة في الشعر ، وقال البعض الآخر إنه ناظم لا روح فيه .

يقول النقاد الذين لا يمجهم أدب تيمور إنه شعبي يتزل إلى مستوى الجمهور لا في عباراته وأساليبه فحسب ، بل في ألفاظه .

ونحن نرى أن هذه السهولة السهلة هي التي يتميز بها قلم تيمور ، والتي تجعل له طابعاً خاصاً يميزه عن غيره ،

ولم تمتنع السهولة أن يكون صاحبها أديباً ، بل نحن في حاجة إلى هذا اللون الذي يبعد بنا عن الأدب النفايدى ، وعن ترسل الجاحظ ، وسجع ابن العميد ؛ ذلك لأننا في عصر يجعل جمال الموضوع في صدقه وقوة تعبيره ، ولا حاجة بنا إلى التزيين والتأنيق والتشكاف مما يصرف الكاتب والقارى معاً عن لذة الفكر الخالص .

وهذا الأستاذ أحمد أمين لا يتكلف بل يكتب كأنه يتحدث فيمرض ألوان الفكر الإسلامى منذ فجر الإسلام وضحاها ، فأفاد واستفاد منه الناس في غير عناه . وهذا المازنى لا يقرب ولا يتأنيق بل تحس كأنه يخاطب العامة ، ومع ذلك فهو أديب لم يطمئن في أدبه طاعن ، ولم يقل قائل إن أسلوبه غير بليغ . أليست البلاغة كما قال ابن المقفع « هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها فإذا حاول يحجز » ...

محمود تيمور إذن من هذا الطراز الذي يجرى قلمه بما يجيش في صدره ، وما تختلج به نفسه ، وما تراه عينه ، فتقرأ له كأنك تستمع إليه .

وأكبر الظن أنه بصطنع بعض الألفاظ العامية المستملحة